فجرُ الهُدى والإيمان

من قصص الأنبياء



فجرُ الهُدى والإيمان

من قصص الأنبياء

للصغار واليافعين

من قصص الأنبياء ، قصصٌ أُنيرت وزيدت إشراقاً بذكر أخبار رُسُل الرحمة والإنسانية ، رُسُل المحبة والسلام ، حقاً إنهم كانوا فَجرَ الهدى والإيمان ، صلوات الله عليهم وسلامه ، الذين أناروا ظلامَ عقول البشر، واقتلعوا منها الأوهام والأباطيل ودعوا إلى عبادة إلهٍ واحدٍ لاشريك له ، بدءاً من آدمَ عليه السلام وإنتهاءً بخاتم الأنبياء والمرسلين ، محمد صلى الله عليه وسلم الذي أخبره الله تعالى في سورة هود عن نبأ من تقدمَّه من رُسُلٍ وأنبياء .

قال الله تعالى: (**وَكُلاً نقُصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَاثُثَبّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هذِهِ الحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلمُؤْمِنِيْن**)

الناشر

دار القلم العربي للأطفال

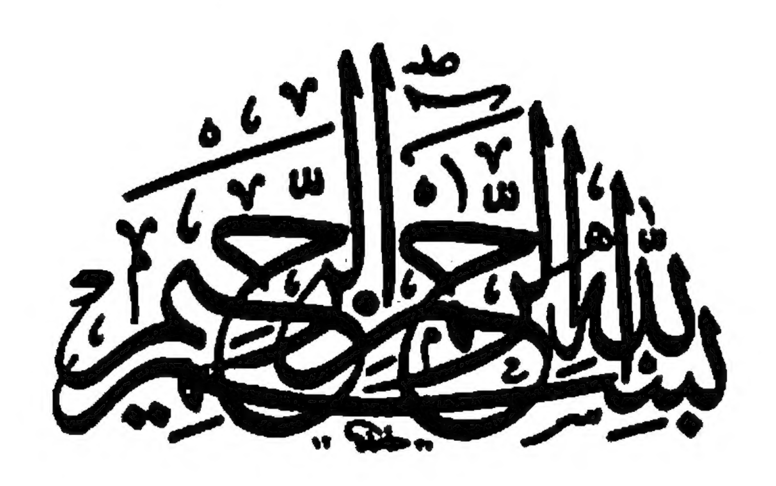
فجر الهدى والإيمان

من قصص
الأنبياء
عليهم السلام

آدم
عليه السلام
صفي الله



إعداد وترتيب : زهير مصطفى
مراجعة : يوسف عبد الكريم عساني



منشورات

دار القلم العربي

الطبعة الثانية

مضبوطة ومشكولة

1421هـ ـ 2001 م

عنوان الدار :

سورية ـ حلب ـ خلف الفندق السياحي ـ شارع هدى الشعراوي

ص.ب:78 هاتف: 2213129 فاكس: 2212361 21 963+

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خَلْقُ الأَرْضِ

لَمْ يَكُنْ عَلَى سَطْحِ الأَرْضِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللهُ آدم عَلَيْهِ السَّلامُ حَيَاةٌ، وَكَيْفَ تَكُونُ الحَيَاةُ قَبْل أَنْ تَكُونَ الأَرْضُ قَدْ صَلُحَتْ لِلحَيَاةِ. وَشَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَل أَنْ يُمَهِّدَ السَّبِيْل، وَأَنْ يُهَيِّيءَ أُسُسَ الحَيَاةِ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، قَبْل أَنْ يَخْلقَ أَدَمَ لِيَجِدَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنَّ الأَرْضَ قَدْ عُمِّرَتْ، وَأَنَّ أَرْزَاقَ النَّاسِ قَدْ يُسِّرَتْ. فَكَانَ أَنْ بَدَأَ اللهُ عَزَّ وَجَل بِخَلْقِ الأَرْضِ فِيْ يَوْمَيْنِ اثْنَيْنِ، فَرَفَعَ فِيْهَا الجِبَال الشَّامِخَاتِ، وَالوِدْيَانَ السَّاحِقَاتِ، وَخَطَّ فِيْهَا الأَنْهَارَ الجَارِيَاتِ ثُمَّ وَفِيْ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، هَيَّأَ اللهُ عَزَّ وَجَل سُبُل العَيْشِ للإِنْسَانِ، فَاسْتَنْبَتَ الأَرْضَ، وَأَخْرَجَ مَا فِيْهَا مِنْ خَيْرٍ وَرِزْقٍ:

يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ العَزِيزِ

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾(١) ثُمَّ اسْتَوى(٢) اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ فَجَعَلَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لمَشِيئَتِهِ عَزَّ وَجَل، يَجْرِيَانِ فِيْ الفُلْكِ وَيَدُوْرَانِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّى، ثُمَّ خَلَقَ مَلائِكَتَهُ وجُنُوْدَهُ الَّذِينَ يُسَبِّحُوْنَ اللهَ وَيَحْمَدُوْنَهُ، وَيُجِلُّوْنَ اسْمَهُ، وَيُخْلِصُوْنَ فِيْ عِبَادَتِهِ، فَالمَلائِكَةُ خَلْقٌ اخْتَارَهُمُ اللهُ لِيَعْبُدُوْهُ فَهَدَاهُمْ إِلَى الخَيْرِ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ نِعْمَتَهُ، وَوَفَّقَهُمْ إِلَى رِضَاهُ. ثُمَّ شَاءَتْ إِرَادَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَنْ يخلقَ آدَمَ وَذُرِّيَّتَهُ، ليَعْمُرُوا الأَرْضَ وَيَسكُنُوْهَا.

خَلقُ آدم

وَأَظْهَرَ المَلائِكَهُ تَخَوُّفَهُمْ، عِنْدَمَا أَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى سَوْفَ يَخْلُقُ خَلقاً آخَرَ، يَعْمُرُوْنَ الأَرْضَ، وَيَسْعَوْنَ فِيْ مَنَاكِبِهَا، ويَتَوَالَدُوْنَ فَتَنْتَشِرُ ذُرِّيَّتُهُمْ فِي الأَرْضِ وَأَصْقَاعِهَا، فَيَسْتَخْرِجُون

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٩).

(٢) استوى: قَصَدَ.

نَبَاتَهَا وَخَيْرَاتِهَا، وَظَنُّوا أَنَّ ذَلكَ لَمْ يَكُنْ إِلاَّ لِتَقْصِيْرٍ مِنْهُمْ وَقَعُوا فِيْهِ.

وَحَاوَلَ المَلائِكَةُ دَفْعَ التُّهْمَةِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، فَقَالوا غَيْرَ مُنْكِرِيْنَ لإِرَادَةِ اللهِ عَزَّ وَجَل وَلا شَاكِّيْنَ فِيْ حِكْمَتِهِ:

ـ كَيْفَ تَفْعَلُ هَذَا؟ وَنَحْنُ عِبَادُكَ المُخْلصُوْنَ، الطَّائِعُوْنَ.

وَأَبْدَى المَلائِكَةُ تَخَوُّفَهُمْ مِنْ أَنَّ البَشَرَ سَوْفَ يَخْتَلفُونَ فِي الأَرْضِ، عَلَى مَا فِيْهَا مِنْ خَيْرَاتٍ وَأَرْزَاقٍ، وَأَنَّهُمْ سَوْفَ يُفْسِدُوْنَ فِيْهَا وَيَسْفِكُوْنَ الدِّمَاءَ مِنْ أَجْلهَا قَالوا ذَلكَ، لِيَنْتَزِعُوا الشُّكُوْكَ وَالمَخَاوِفَ مِنْ صُدُوْرِهِمْ.

فَمَاذَا كَانَ جَوَابُ اللهِ عَزَّ وَجَل؟.

كَانَ جَوَابُهُ مُطَمْئِنَاً لهُمْ وَبَاعِثَاً عَلَى الرَّاحَةِ وَالسَّكِيْنَةِ، فَهُوَ عَزَّ وَجَل، يَعْلمُ مَا لا يَعْلمُوْنَ. يَقُول اللهُ عَزَّ وَجَل فِي الكِتَابِ العَزِيْزِ:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة الآية (٣٠).

مَعْصِيَةُ إِبْلِيسَ

وَأَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَل مَلائِكَتَهُ بِالسُّجُوْدِ لآدَمَ، فَاسْتَجَابُوا لأَمْرِهِ، وَسَجَدُوا لآدَمَ إلاَّ إبْلِيْسَ فَقَدِ امْتَنَعَ أَنْ يَسْجُدَ وَخَالفَ أَمْرَ رَبِّهِ وَعَصَاهُ فَكَانَ مِنَ الكَافِرِيْنَ المَلْعُوْنِيْنَ.

قَالَ اللهُ تَعَالى فِيْ كِتَابِهِ العَزِيْزِ:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[١].

وَسَأَل اللهُ عَزَّ وَجَل إبْلِيْسَ عَنْ سَبَبِ مَعْصِيَتِهِ لهُ وَامْتِنَاعِهِ عن السُّجُوْدِ لآدَمَ:

﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴾[٢].

فَقَال إبْلِيْسُ، أَلاَ لعْنَةُ اللهِ عَلَى إبْلِيْسَ:

ـ أنَا خَيْرٌ مِنْ آدَمَ، خَلَقْتَهُ مِنْ طِيْنٍ وَخَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ، وَحَسِبَ إبْلِيْسُ أَنَّهُ أَشْرَفُ عُنْصُراً مِنْ آدَمَ، وَأَنَّهُ لا يُجَارِيْهِ أَحَدٌ فِيْ سُمُوِّ

---

(١) سورة البقرة (٣٤).

(٢) سورة ص (٧٥).

مَكَانَتِهِ وَعُلوِّ قَدْرِهِ وَكَانَ اللهُ عَزَّ وَجَل قَدْ خَلقَ آدَمَ مِنْ صَلصَالٍ مِنْ طِيْنٍ ثُمَّ نَفخَ فِيْهِ مِنْ رُوْحِهِ فَتَمَثَّل بَشَراً وَدَبَّتْ فِيْهِ الحَيَاةُ.

قَال اللهُ تَعَالى فِيْ كِتَابِهِ العَزِيْزِ:

﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾[1].

وَعَاقَبَهُ اللهُ عَزَّ وَجَل عَلَى عِصْيانِهِ، وَمُخَالفَتِهِ لأوَامِرِهِ، وَرَفْضِهِ السُّجُودَ لآدَم وَقَال لهُ:

﴿ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ[2] ﴾[3].

وَعِنْدَئِذٍ، أخَذَ إِبْلِيْسُ، لعْنَةُ اللهِ عَليْهِ، يَتَوَسَّلُ إِلَى رَبِّهِ وَيَرْجُوْهُ أَنْ يُمْهِلَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، وَأَنْ يُطِيْل عُمُرَهُ إِلَى يَوْمِ البَعْثِ، وَلبَّى اللهُ عَزَّ وَجَل نِدَاءَهُ وَأَجَابَهُ إِلَى تَوَسُّلِهِ وَقَال لهُ:

﴿ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾[4].

وَلكِنَّ إِبْليْسَ، طَغَى وَبَغَى، وَنَسِيَ وَعْدَهُ للهِ عَزَّ وَجَل، فَقَابَل

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٢).

(٢) الصاغرين: الذليلين.

(٣) سورة الأعراف الآية (١٣).

(٤) سورة الأعراف: (١٤، ١٥) أنظرني: أمهلني.

مِنَّتَهُ بالجُحُوْدِ وَالنُّكْرَانِ، وَلَمْ يَشْكُرِ اللهَ وَيَحْمَدْهُ، وَقَال:

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾(١).

وَاسْتَمَرَّ إبْلِيْسُ فِيْ غَوَايَتِهِ وَفِي تَصدِّيْهِ للنَّاسِ، وَحَلفَ أَنَّهُ سَيَقْعُدُ لبَنِيْ آدمَ عَلَى الطَّرِيْقِ المُوْصِل إلَى اللهِ عَزَّ وَجَل. فَيَأْتِيهِمْ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، مِنَ الشِّمَال وَعَنِ اليَمِيْنِ، لِيَمْنَعَهُمْ عَنْ شُكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَل، وَعِبَادَتِهِ.

وَطَرَدَ اللهُ عَزَّ وَجَل إبْلِيْسَ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَأَنْزَل عَليْهِ اللَّعْنَةَ، فَهُوَ المَلعُوْنُ الرَّجِيْمُ وَأَمَدَّهُ اللهُ فِي طُغْيَانِهِ، وَأَرْسَلهُ يَمْضِيْ فِيْ طَرِيْقِ الشَّرِّ الذِيْ ارْتَضَاهُ لنَفْسِهِ، وَفِيْ مُحَاوَلتِهِ إغْوَاءَ النَّاسِ، وَلكِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَل، عَصَمَ الناسَ الذِيْنَ قَوِيَ إيْمَانُهُمْ وَصَلُبَتْ عَزِيْمَتُهُمْ، مِنْ أنْ يَتَمَكَّنَ مِنْهُمْ إبْلِيْسُ، فَهَؤُلاءِ المُؤْمِنُوْنَ الأتْقِيَاءُ قَدْ صُمَّتْ آذَانُهُمْ عَنْ سَمَاعِ وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ، فَلمْ يَكُنْ عَليْهِمْ بِمُسْتَطِيْعٍ لأنَّ قُلوْبَهُمْ عَنْهُ مُنْصَرِفَةٌ إلَى عِبَادَةِ اللهِ عَزَّ وَجَل وَشُكْرِهِ وَالثَّنَاءِ عَليْهِ مَهْمَا حَاوَل إبْلِيْسُ مِنْ تَزْيِيْنِ طَرِيْقِ الشَّرِّ لهُمْ، وَبَذْلِ

(١) سورة الأعراف: (١٦، ١٧).

الوُعُودِ الكَاذِبَةِ، وَرَسْمِ الأحْلامِ السَّرَابِيَّةِ يَقُوْل اللهُ عَزَّ وَجَل:

﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾(١).

فَافْعَلْ يَا إبْلِيْسُ مَاشِئْتَ، وَلتَكُنْ مِثْل فَارِسٍ مِغْوَارٍ أغَارَ عَلَى قَوْمٍ وَجَعَل يَصِيحُ بِهِمْ لإرْهَابِهِمْ حَتَّى اسْتَوْلى عَلَى أمْوَالِهِمْ وَأوْلادِهِمْ. أمّا مَا عَزَمْتَ عَليْهِ مِنْ إغْوَاءِ النَّاسِ، وَإضْلالِهِمْ، وَمُحَاوَلَةِ إبْعَادِهِمْ عَنِ الطَّرِيْقِ القَوِيْمِ فَستَلقَى عَلَى ذَلكَ أشَدَّ العِقَابِ، وَسَوْفَ أمْلأ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ صَحِبَكَ وَتَبِعَكَ وَسَمِعَ إلَى غِوَايَتِكَ. يَقُوْل اللهُ عَزَّ وَجَل:

﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾(٢).

---

(١) سورة: الإسراء (٦٤).

(٢) سورة الأعراف ـ ١٨ ـ مذؤوما: ممقوتاً مكروهاً.

خَلِيفَةُ اللهِ

اسْتَجَابَ المَلائِكَةُ لأمْرِ اللهِ عَزَّ وَجَل وَسَجَدُوا لآدَمَ، وَأقَرُّوا بِفَضْلِهِ، وَاعْتَرَفُوا أنَّهُ خَيْرٌ مِنْهُمْ وَأقْرَبُ مِنْهُمْ إلَى اللهِ مَكَاناً وَمَنْزِلَةً، إلا أنَّهُمْ حَسِبُوا أنَّهُمْ أكْثَرُ عِلْماً مِنْهُ وَأكْثَرُ فَهْماً مِنْهُ، وَلِذَلِكَ عَلَّمَهُ اللهُ مَا لَمْ يَعْلَمْ، عَلمَ آدَمَ أسْمَاءَ المَوْجُودَاتِ كُلَّهَا، وَأنَارَ عَقْلَهُ وَفِكْرَهُ ثُمَّ أرَادَ اللهُ عَزَّ وَجَل أنْ يَمْتَحِنَ المَلائِكَةَ، وَيَخْتَبِرَهُمْ فَقَال عَزَّ وَجَل:

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[1].

وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى يَعْلمُ عَجْزَهُمْ، وَقُصُورَهُمْ، فَقَالَ هَذَا لِيُظْهِرَ عَجْزَهُمْ وَلِيُبَيِّنَ قُصُورَهُمْ فِيْ العِلمِ، وَلِيُدْرِكُوا أنَّ آدَمَ أجْدَرُ بِالخِلافَةِ. وَفُوْجِيءَ المَلائِكَةُ بِمَا جُوْبِهُوا بِهِ، فَاعْتَرَفُوا

(١) البقرة (٣١).

بِعَجْزِهِمْ وَقُصُورِهِمْ وَقُصُوْرِ عِلْمِهِمْ وَقَالوُا:

﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1].

وَأمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَل آدَمَ، بِمَا آتَاهُ مِنْ عِلمٍ وَمَعْرِفَةٍ، وبِمَا أنَارَ قَلبَهُ بِالإيْمَانِ وَعَمَّرهُ بِالتَّقْوى أنْ يُخْبِرَ المَلائِكَةَ بِمَا عَجَزُوا عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوْا التَّوَصُّل إلَى سِرِّهِ، إثْبَاتاً لهُمْ بِفَضْلِهِ، وَتِبْيَاناً لهُمْ لِحِكْمَةِ اسْتِخْلافِهِ عَلَى الأرْضِ، فَلمَّا أخْبَرَهُمْ آدَمُ بِمَا أمَرَهُ بِهِ اللهُ عَزَّ وَجَل، قَال اللهُ لهُمْ، ألمْ أقُلْ لَكُمْ بِأني أعْلمُ مَالا تَعْلمُوْنَ:

﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[2].

---

(١) سورة البقرة (٣٢).

(٢) سورة البقرة (٣٣).

آدمُ وحواءُ في الجنة

أَسْكَنَ اللهُ عَزَّ وَجَل، آدَمَ وَزَوْجَتَهُ، فِي الجَنَّةِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَشْكُرَ اللهَ عَلَى نَعْمَائِهِ عَليْهِ، فَقَدْ سَوَّاهُ اللهُ بِأَحْسَنِ صُورَةٍ، وَنَفَخَ فِيْهِ مِنْ رُوْحِهِ، وَخَلقَهُ بِأَحْسَنِ تَقْوِيْمٍ، وَأَمَرَ المَلائِكَةَ أَنْ يَسْجُدُوا لَهُ فَسَجَدُوا، وَعَلَّمَهُ مَا لمْ يَعْلمْ وَجَعَل الجَنَّةَ مُقَامَه وَمَسْكَنَهُ.

وَتَرَكَ لهُ الخِيَارَ فَإِنْ أَطَاعَ اللهَ عَزَّ وَجَل كَافَأَهُ عَلَى بِرِّهِ وَإِحْسَانِهِ، وَأَخْلدَهُ فِيْ جِنَانِ الخُلدِ، وَإِنْ عَصَى اللهَ، أَخْرَجَهُ مِنْ جَنَّتِهِ وَسَلطَ عَليْهِ سُوْءَ العَذَابِ.

ثُمَّ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَل أَطْلقَ لآدَمَ وَزَوْجَتِهِ اليَدَ فِيْ أَنْ يَأْكُلا مَا شَاءَا مَنْ لذَائِذِ الجَنَّةِ، وَأَبَاحَ لهُمَا أَنْ يَجْنِيَا ثِمارَهَا اللذِيْذَةَ وَ المُخْتَلِفَةَ، وَأَنْ يُمَتِّعَا نَاظِرَيْهِمَا بِأَشْجَارِهَا البَاسِقَةِ الوَارِفَةِ، وَبِأَنْهَارِها العَذْبَةِ، وَجَدَاوِلِهَا الرَّقْرَاقَةِ، وَلكِنَّهُ عَزَّ وَجَل حَذَّرَهُمَا

مِنْ أنْ يَقْرَبَا شَجَرَةً مُعَيَّنَة مِنْ بَيْنِ أشْجَارِهَا الكَثِيْرَةِ. فَإنْ خَالفَا أمْرَهُ أدْخَلهُمْ فِيْ زُمْرَةِ الظَّالِمِينَ، وَإنْ لَمْ يَقْتَرِبَا مِنَ الشَّجَرَةِ التِي نَهَاهُمَا عَنْهَا، كَافأهُمَا وَأعَدَّ لهُمَا الهَنَاءَةَ وَالسَّعَادَةَ، وَحَمَاهُمَا مِنْ كُل مَكْرُوْهٍ يُمْكِنُ أنْ يُصِيبَهُمَا، فَلا يَتَعَرَّضَانِ للجُوْعِ أوِ العُرْيِ وَلا يَنَالهُمَا عَطَشٌ أوْ تَعَبٌ. فَقَال اللهُ عَزَّ وَجَل:

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

وَقَال تَعَالى:

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾[2].

---

(١) سورة: البقرة (٣٥).

(٢) سورة: طه (١١٨، ١١٩). تَظْمَأُ: تَعْطَشُ، لاَ تَضْحَى: لاَ يَضُرُّكَ حَرُّ الشَّمْسِ.

آدَمُ فِي الأَرْض

وَلكِنَّ إبْلِيْسَ المَلعُونَ وَالمَطْرُوْدَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ عَزَّ وَجَل، لَمْ يَرُقْ لهُ أنْ يَعِيْشَ آدَمُ فِي الجَنَّةِ مَعَ زَوْجِهِ هَانِىءَ البَال مُطْمَئِنَّ القَلبِ، يَنْعُمُ بِطَيِّبَاتِ الجنَّةِ وَأَفْيَائِهَا[1] وَيُمَتِّعُ نَاظِرَيْهِ بِجَمَالهَا وَحُسْنِهَا، فَسَاءَتْ نِيَّتُهُ وَأَضْمَرَ الشَّرَّ وَعَزَمَ عَلَى أنْ يَسْلبَ آدَمَ نِعْمَتَهُ، وَيَسْرِقَ هَنَاءَتَهُ، وَيُزَلزِل كِيَانَهُ، أليْسَ هُوَ الذِيْ كَانَ سَبَبَ نُزُوْلهِ مِنَ الجنَّةِ، وَطَرْدِهِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، أَليْسَ هُوَ الذِيْ فَضَّلهُ اللهُ عَزَّ وَجَل عَليْهِ، وَأمَرَه أنْ يَسْجُدَ لهُ.

فَاقْتَرَبَ إبْليْسُ مِنْ آدَمَ، وَهَمَسَ فِيْ أُذُنِهِ، مُحَاوِلاً خِدَاعَهُ وَمُظْهِراً الوِدَّ وَالنُّصْحَ، ثُمَّ جَهِدَ فِيْ التَّقرُّبِ إليْهِ، وَلمْ يَتْرُكْ بَاباً مِنْ أبْوَابِ الخِدَاعِ إلا وَطَرقَهُ ثُمَّ قَالَ:

﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾[2].

(١) أَفْيَائِهَا: ظِلاَلِهَا.

(٢) سورة الأعراف (٢٠).

وَلمّا رَأى إبْلِيْسُ إعْرَاضاً مِنْ آدَمَ وَحَوَّاءَ، أقْسَمَ لهُمَا أنَّهُ مِنَ النَّاصِحِيْنَ المُخْلصِيْنَ، وَحَاوَل مَرَّةً ثَانِيَةً إغْوَاءَهُمَا بِطِيْبِ رَائِحَةِ تِلكَ الشَّجَرَةِ وَحُسْنِ طَعْمِهَا وَمَذَاقِهَا، فَانْقَادَا إليْهِ، وَاغْتَرَّا بِمَعْسُوْل كَلامِهِ، فَوَقَعَا فِي الخَطِيْئَةِ وَأكَلا مِنْ ثَمَرِ الشَّجَرَةِ. وَعِنْدَئِذٍ قَال لهُمَا رَبُّهُمَا:

﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾(١).

وَأدْرَكَ آدَمُ وَزَوْجُهُ عِظَمَ الذَّنْبِ الذِي ارْتَكَبَاهُ، فَنَدِمَا عَلَى مَا اقْتَرَفَتْ يَدَاهُمَا مِنْ إثْمٍ وقالا:

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾(٢).

وَغَفَرَ اللهُ لهُمَا، وَتَابَ عَنْهُمَا، فَرَضِيا وَاطْمَأنَّا إلَى أنَّهُمَا سَيَبْقَيَانِ فِي الجنَّةِ يَنْعَمَانِ بِنَعِيْمِهَا، لكِنَّ اللهَ، عَزَّ وَجل أمَرَهُمَا بِالهُبُوْطِ إِلَى الأرْضِ، وَأطْلَعَهُمَا أنْ العَدَاوَةَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ إبْلِيْسَ،

---

(١) سورة: الأعراف (٢٢).

(٢) سورة: الأعراف (٢٣، ٢٤).

سَتَظَلُّ قَائِمَةً، وَرُبَّمَا شَاءَتْ حِكْمَتُهُ عَزَّ وَجل أنْ يُبْقِيَ تِلكَ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ بَيْنَهمَا لِيَخْتَبِرَ آدَمَ وَذُرِّيَّتَهُ فَمَنِ اهْتَدَى وَعَمِل صَالِحاً وَقَال إنِّيْ مِنَ المُسْلِمِيْنَ المُؤْمِنِيْنَ، حَمَى نَفْسَهُ مِنْ مَكَائِدِ الشَّيْطَانِ، الذِي يُحَاوِلُ دَائِمَاً أنْ يَتَسلَّلَ إِلى النَّفْسِ البَشَرِيَّةِ. وَمَنْ أعْرَضَ عَنْ ذِكْرِ اللهِ. وَجَدَ فِيْهِ إبْلِيْسُ، مَرْتَعَاً خَصْبَاً، وَنَفَثَ فِيْهِ السُّمَّ القَاتِل، لِيَقُوْدَهُ إلى التَّهْلُكَةِ وَالخُسْرانِ. اللهُمَّ اجْعَلنَا مِنَ المُؤْمِنِينَ الصَّالحِيْنَ وَأبْعِدْ عَنّا شَرَّ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ.

* * * * *